جامعة خميس مليانة

قسم العلوم الاجتماعية – شعبة الفلسفة السداسي الأول السنة الجامعية 2021 / 2022

المستوى: السنة الأولى ماستر – تخصص: فلسفة تطبيقية

المقياس: نظرية الدولة و النظم السياسية

النشاط: محاضرة

المحاضرة السابعة: ـ مشكلة الخلافة و نظرية السلطة (تابع)

مقدمة

الخلافة الإسلامية مصطلح يطلق على نظام الحكم في الشريعة الإسلامية الذي يقوم على استخلاف قائد مسلم على الدولة الإسلامية ليحكمها بالشريعة الإسلامية، و سميت بالخلافة لأن الخليفة قائدهم و هو من يخلف الرسول (ص) في كرسي الحكم لقيادة المسلمين و الدولة الإسلامية، و من ثم فغاية الخلافة هي تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية و تنفيذها و حمل رسالة الإسلام إلى العالم بالدعوة و الجهاد.

بينما مفهوم الخلافة عند أهل الشيعة و خاصة الإمامية و الإسماعيلية موضوع أوسع، فالخلافة عندهم إمامة و الخليفة إماما، و هي امتداد للنبوة، و كلام الإمام و فعله و قراره حجة يجب الأخذ بها، و قد اتفق علماءهم على أن الإمام يساوي النبي في العصمة و الإطلاع على حقائق الحق في كل الأمور، إلا أنه لا ينزل عليه الوحي، إنما يتلقى ذلك من النبي (ص). أما الخليفة عند أهل السنة يختلف بتعيينه حاكما على الأمة، بينما عند الشيعة لا يشترط على الإمام أن يكون حاكما.

ـ الأصل الغوي لمصطلح الخلافة الإسلامية: الخلافة كلمة مشتقة من فعل خلف يخلف أي تبع أو عوض في الحكم و موضوع الاستحلاف في العقيدة الإسلامية هو سبب من الأسباب التي خلق الله من أجله البشر على الأرض كي يعبدوه و يطبقوا أحكامه التي أرسلها بواسطة الأنبياء و الرسل على مر الزمن.

ـ الخلافة في القرآن: قال الله في سورة البقرة " و إذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء و نحن نسبح بحمدك و نقدس لك، قال إني أعلم ما لا تعلمون." و قال في سورة النور **" وعد الله الذين آمنوا و عملوا الصالحات ليستحلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم و ليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم و ليبدلنهم من بعد خوفهم آمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا و من كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون."**

ـ الخلافة و النظريات السياسية الفقهية

تختلف نظرة الفرق الإسلامية إلى الخلافة فتفسرها كل فرقة وفق معتقداتها و ما صح عندهم من الأحاديث.

ـ الخلافة في الفقه السني: دلت الأحاديث الواردة في كتب السنة أن الخلافة يجب أن تنحصر في قبيلة قريش، و أنها سوف تستمر بعد وفاة النبي (ص) لفترة مدتها 30 عاما، و هي فترة حكم الخلفاء الراشدين الأربعة و هم: أبي بكر الصديق، و عمر بن الخطاب، و عثمان بن عفان، و علي بن أبي طالب، إضافة إلى عامين من حكم الحسن بن على بن أبي طالب و معاوية بن أبي سفيان ثم تحولت إلى ملك وراثي و هي فترة تعاقب

الدولة الأموية و الدولة العباسية و الدولة الفاطمية و الدولة العثمانية و غيرها، و حسب أهل السنة أن الدولة ستصبح حكما جبريا ثم ستعود مرة أخرى خلافة على منهاج النبوة.

و الخلافة في رأي مذهب السنة هي رئاسة عامة المسلمين جميعا في الدنيا لإقامة أحكام الشرع الإسلامي، و حمل الدعوة الإسلامية إلى العالم، و هي عينها الإمامة. فالخلافة في الاصطلاح الإسلامي تعني القيادة الإسلامية أو الإمامة فقط، و من ثم فمصطلح الإمامة يرادف مصطلح الخلافة، و يقول أبو الحسن الماوردي " الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين و سياسة الدنيا " و سميت خلافة لأن الذي يتولاها يكون الحاكم الأعظم للمسلمين و يخلف النبي في إدارة شؤونهم و تسمى الإمامة لأن الخليفة كان يسمى إماما، و يرى علماء المنهج السلفي أن طاعته واجبة سواء كان برا أو فاجرا ما لم يأمر بمعصية الله، و سواء اجتمع عليه الناس و رضوا به، أو غلبهم بسيفه، و أن الناس كانوا يسيرون وراءه كما يصلون وراء من يؤمهم في الصلاة.

ـ الخلافة في فقه الاثنا عشرية: يرى أصحاب **الشيعة الاثنا عشرية** أن موضوع قيادة الأمة الإسلامية محسوم بالنص عن **الرسول محمد** (صلى الله عليه و سلم)، حيث تنص الأحاديث الشيعية على أن **علي بن أبي طالب** هو خليفة للمسلمين بعد **محمد رسول الله**. هذه النصوص نجد بعضها مشترك بين أهل السنة و أهل الشيعة مثل حديث الغدير الذي جاء فيه **" من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه و عاد من عاداه ".** و الخليفة عند **الشيعة الاثنا عشرية** هو أحد الأئمة عصمة المعصومين، و الذي يتم اختياره بأمر من الله يوحى به للإمام الذي يسبقه، و على الرغم من ذلك فإن الإمام الوحيد الذي تولى الخلافة هو **علي بن أبي طالب** و من بعده **الحسن بن علي بن أبي طالب** الذي اعتبره أنصاره خليفة المسلمين لكنه تنازل عن **الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان**. غير أن فرق الشيعة اختلفت في عدد الخلفاء الذين يأتون بعد **علي بن أبي طالب،** فهناك من قال خمسة و آخرون قالوا سبعة و فرقة قالت اثنا عشرة، و بعضهم آخر قالوا ثلاثة عشرة، أما المتطرفون من الشيعة فقالوا أن الأئمة آلهة أولهم **محمد** رسول الله إلى **الحسين بن علي بن أبي طالب** ثم من صلح من أولاد **الحسين بن علي بن أبي طالب** إلى **جعفر بن محمد** و هو الإله الأصغر و خاتم الآلهة ثم من بعده نوابه و هم من صلح من **أولاد جعفر،** و ذهبت فرقة منهم إلى أن الإمام في هذه الأمة اثنان: **محمد و علي بن أبي طالب** و غيرهما ممن كان لائقا لهذا الأمر من أولاد **علي بن أبي طالب** فهم نوابهما.

ـ من جملة الأحاديث التي تبين رأي أصحاب المذهب السني في الخلافة ما جاء في سنن الترمذي " الخلافة في أمتي ثلاثون سنة " (سنن الترمذي ح 2226)، و كذلك ما جاء في ما رواه الإمام البخاري و الإمام مسلم " إن هذا الأمر لا يقضي حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش " (البخاري رقم 7222 و مسلم رقم 1821)

ـ الخلافة عند الشيعة الزيدية: قالت الزيدية من الشيعة أنه يجوز إمامة المفضول مع وجود الأفضل، و هذا يعني أن الإمام الأفضل هو علي بن أبي طالب، و لكن المسلمين بايعوا أبي بكر ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان و هم الأئمة المفضولين، و هو جائز إذا كان ذلك في صالح المسلمين و ليس كفرا.

ـ أمير المؤمنين: يشهد التاريخ الإسلامي أن أول من أطلق عليه لقب أمير المؤمنين هو الخليفة عمر بن الخطاب، و هو لقب يطلق على الحكام المسلمين الذين جاءوا بعده حتى نهاية العهد العباسي، أما روايات الشيعة فتقول أن علي بن أبي طالب هو أول من لقب أمير المؤمنين قبل ميلاد كل البشر

ـ بدايات الفكر السياسي الإسلامي

لقد تميزت الممارسة السياسية في البلاد الإسلامية بالجمع بين الدين و السياسة، فقد و جد الحكام المسلمون في القرآن الكريم و السنة النبوية الشريفة أهم مبادئ التشريع السياسي[1]، خاصة في فترة الخلافة الراشدة، إذ أقاموا الدولة على المبادئ الأخلاقية التي أوصت بها الشريعة الإسلامية و فسرتها السنة النبوية الشريفة لاسيما مبدأ الرضى بين الحكام و المحكومين، و الذي كان يعبر عنه بالمبايعة، و كذلك مبدأ الشورى، و هو يقوم على استشارة الرعية في أمور الدولة أو ما يعرف بالاستفتاء العام في الديمقراطيات الحديثة، و هذا مكن الدولة الإسلامية من أن تلقى نجاحا كبيرا في النواحي الاجتماعية الاقتصادية و التنظيمية، و ذلك بتحقيق العدالة و المساواة بين الناس، و إقامة سلطة القانون، ازدهار التجارة و مختلف التعاملات الاقتصادية، فكان ذلك نجاحا حضاريا راقيا. غير أن التفكير في وضع نظرية للدولة و البحث فيما ينبغي أن تكون عليه حتى تحقق السعادة و الاستقرار لم يبدأ إلا في عصر التدوين أي مع فترة حكم الخلافة العباسية، و هذا يطرح تساؤل. ماهي الدوافع التي دفعت بالمفكرين المسلمين و لاسيما الفلاسفة إلى البحث عن كيفية تحقيق الدولة العادلة، إذا كان الإسلام كشريعة و تشريع كافيا لإقامة الدولة العادلة؟.

و الحقيقة أن سقوط الخلافة الأموية مع آخر خلفائها و هو " **مروان بن محمد** " سنة 132ه كان بسبب صراعات داخلية بين الأسرة الأموية و عرب قريش من جهة، و بين الدعوة إلى الوحدة الإسلامية من جهة أخرى، و قد بدأت هذه الصراعات منذ قيام الخلافة الأموية، لكن الشيء الذي كان يهدئ الأوضاع هو مواصلة الفتوحات الإسلامية نحو الشرق و الغرب، لذلك بلغت رقعة الدولة الإسلامية إبام الحكم الأموي حدود الصين شرقا إلى الشمال الغربي من إفريقيا غربا، و من حدود القسطنطينية شمالا إلى بحر العرب جنوبا، لكن الأوضاع الداخلية بقيت رهينة مؤامرات بسبب حصر الخلافة في البيت الأموي من جهة، و أيضا صراع بين الأمراء الأمويين أنفسهم من جهة أخرى، و الاضطرابات التي أحدثتها الفرق السياسية و العقائدية من جهة ثالثة، و كانت فرقة القدرية بزعامة " **يزيد بن الوليد** " عام 125ه الأمير الأموي، يمثل المحاولة الأخيرة لتصحيح الأوضاع و تقويم مسيرة الأسرة الأموية، لكنها محاولة انتهت بالفشل[2]، و على إثر ذلك كان مقتل أخر الخلفاء الأمويين و هو " **مروان بن محمد** سنة 132ه، و يمثل ذلك تاريخ نهاية الخلافة الأموية و قيام الخلافة العباسية على يد **أبو العباس**.

جاءت الخلافة العباسية فاهتمت في عصرها الأول بكيفية تحقيق وحدة الأمة الإسلامية من خلال انتهاجها سياسة الموازنة بين عصبيات الأمة الإسلامية، و هي السياسة التي كانت ترفضها الخلافة الأموية حيث ميزت بين العرب المسلمين و العصبيات الداخلة في الإسلام، لكن حالة الخلافة العباسية لم تكن على هذه الصفة، فقد أشرك العباسيون على الخلافة فئات مختلفة من العرب و الموالي بالعراق و خرسان، و هي فئات كانت من عصبيات معارضة للسلطة الأموية، و لهذا أوقفت الخلافة العباسية الفتوحات الإسلامية، و اهتمت بوضع حدود الدولة الإسلامية، كما أزالت الفروق بين العرب المسلمين و غير العرب، الداخلين في الإسلام على كل المستويات.[3]

وقد ساند الفقهاء هذه السياسة إلى حد القول بأن مشاركة هذه العصبيات غير العربية في السلطة أمر شرعي و متحقق، و لا يناقض القرآن و السنة. لكن هذه السياسة بدأت تختل مع نهاية عهد الخليفة العباسي " **هارون الرشيد** "، حيث بدأت الأوضاع تسوء و ذلك على إثر الصراع بين الأخوين " **الأمين** " و " **المأمون** " على

---

[1] -أميرة حلمي مطر، **في فلسفة السياسة**، ص 57.

[2] - محمد أيوب الشناوي، **الفكر السياسي الإسلامي(في القرنين الثامن و التاسع الهجريين بين النقل و العقل)**، مركز الكتاب للنشر- القاهرة، ط1 2006، ص 76.

[3] - المرجع نفسه و الصفحة نفسها.

الخلافة، و انتهى هذا الصراع بتولي " **المأمون** " الخلافة، و بدأت تظهر تغيرات سياسية مخالفة لسياسة أسلافه، إذ بدأ يظهر مفهوم الولايات المستقلة في الشرق الإسلامي، حيث ظهرت دولة الطاهريين، كما أن المأمون أختار سياسة جديدة مع الإمبراطورية البيزنطية، أثار توترات في أوساطها بابتداع سياسة الوكالات، و هي سياسة تقوم على استخدام أحد العملاء ليقوم بكل ما يأمره الخليفة من التمرد على السلطة بشرط أن يوفر له كل ما يحتاجه، و هذه السياسة تجنب الخليفة الصدام المباشر مع القوات البيزنطية، لكن هذه السياسة لم تنجح بسبب انتباه البيزنطيين لها، فقاموا بنفس العمل عندما استغلوا " بابك الخرمي " عام 201هـ، و لكن الخليفة " المعتصم " قضى على هذه الحركة عام 221هـ، و من جهة أخرى بدأت سياسة الأحلاف حيث تحالف البيزنطيون مع ملوك أوروبا من جهة و تحالفوا أيضا مع الأمراء الأمويين في الأندلس من جهة أخرى، ضد الخلافة العباسية[4].

و مع الخليفة " الواثق " الذي خلف أبيه " المعتصم " عام 227هـ كانت بداية انهيار الخلافة العباسية حيث فتح الباب للجند الأتراك المرتزقة لتولي المناصب الإدارية العليا، كما قسم الدولة الإسلامية إداريا إلى منطقة الغرب و منطقة الشرق، و أسندهما لقائدين تركيين، أحدهما منطقة الشرق و الآخر منطقة الغرب و أصبحا لهما السلطة في إرسال من يشاؤون كولاة للمنطقتين، و هو ما سمح للأتراك بأن تصبح لهم مكانة في السلطة، فاغتصبوا موارد الدولة الإسلامية لصالحهم.

و مع تعيين " **المتوكل** " خليفة في الفترة الممتدة ما بين 232هـ و 247هـ و كان الجند الأتراك قد استولوا على مقالد السلطة، أدرك هذا الخليفة ان الأوضاع تفلت من يده، و قد قرر القادة الأتراك قتله، و كان أول خليفة يقتل على يد الأتراك الذين أحكموا سيطرتهم منذ ذلك الوقت على البلاد الإسلامية. و هكذا بدأت تنمو النزعات الاستقلالية في الشرق بعد أن بدأت في الغرب الإسلامي، في العصر العباسي الثاني أي في منصف القرن الثالث الهجري فظهر الزيديون في اليمن عام 246هـ، و السمانيون في بخارى عام 250هـ، و الطولونيون في مصر عام 254هـ، ثم الحمدانيون في حلب عام 317هـ، و الأخشديون عام 323هـ، كما ظهر البويهيون في بلاد فارس و العراق و أخضعوا الخلافة العباسية لنفوذهم و ذلك في عام334هـ.

و في الغرب الإسلامي (أي بلاد المغرب العربي) أعلن الفاطميون خلافتهم حتى استقروا في مصر و الشام كما أعلن الأمراء الأمويون خلافتهم في الأندلس، و هكذا تفككت البلاد الإسلامية، و جعل الحكام مصالحهم الخاصة أولى من مصلحة الأمة الإسلامية.

و في سياق هذه الأوضاع السياسية المضطربة كان لازما على المفكرين و الفلاسفة أن يتجهوا إلى التفكير و الانشغال بالبحث عن الدولة العادلة المستقرة على مبادئ الإسلام الحقيقية، فكان **أبو نصر الفارابي** و فكره السياسي من إنتاج هذه المرحلة، و كان قد تأثر بالفلسفة اليونانية خاصة فلسفة **أفلاطون** و **أرسطو** حتى لقب بأرسطو العرب أو المعلم الثاني.

[4] - محمد عاصف الشناوي، **الفكر السياسي الإسلامي**، ص ص 80 – 81.